البنية الرمزية لشكل الاله اشور في الفن العراقي القديم

رنا ميري مزعل & سلوى محسن حميد
كلية الفنون الجميلة –جامعة بابل

الخلاصة

تناولت هذه الدراسة (البنية الرمزية لشكل الاله اشور في الفن العراقي القديم) والتي تهدف الى تعرف البنية الرمزية لشكل الرمز الذي اناب عن شكل الاله اشور الواقعي وفق معتقدات وفكر وتصورات الانسان العراقي القديم، .. وبما ان الفن عموماً والفن الاشوري خاصة يشكل لغة معبرة عن مظاهر كل عصر من العصور واحاسيسه ومايرافقه من تبدل في الاعراف والعقائد والبنى التي لاتنفصل بدورها عن التحولات الاقتصادية والسياسية.. مثلت تلك البنى عقائد وديانة بلاد اشور قديماً.

ووصولاً الى تحقيق هدف الدراسة، فقد تضمن ثلاثة مباحث خصص الاول منها حول: مفهوم الرمز، فيما مثل المبحث الثاني، الالهة ودورها في فكر وعقائد العراقيين القدماء. اما المبحث الثالث فقد تناول بنية رمز الاله اشور في الفن العراقي القديم.

وقد احتوى الفصل الثالث، اجراءات البحث من حيث حصر مجتمع البحث، والاداة التي شملت جمع المعلومات، فتم اعتماد عينات منه بطريقة قصدية، غطت حدود البحث باعتماد المنهج الوصفي في تحليل العينات.

واخيراً شمل الفصل الرابع اهم النتائج التي تضمنها البحث في ضوء هدف البحث، وصلتها بمعطيات الاطار النظري ومن اهمها:

1– ظهور شكل الرمز للاله اشور باسلوب مركب، اذ صور بشكل وهيئة مركبة مكونة من دائرة وجناحي نسر، وباسلوب زخرفي عوض عن الشكل الواقعي والمألوف للنسر وقرص الشمس معاً.

ومن التوصيات والمقترحات:

–نوصي باجراء دراسات وبحوث اخرى تتناول بنية الرمز في مجالات فنية مختلفة واستثمار تلك الرموز وتنفيذها في مختلف التقنيات الفنية، ودراسة دلالاتها ومضامينها الفكرية.

الفصل الاول

اولاً: مشكلة البحث

طالما اقترن سلوك الانسان منذ بدء الخليقة بالظواهر الحياتية والكونية ساقطاً افكاره وانطباعاته ازاءها، فتأمل الانسان تلك الظواهر وفق معتقداته الدينية رابطاً اياها بقوى وآلهة غيبية. وذلك ماظهر جلياً في النتاجات الفنية من اختام اسطوانية ومنحوتات مجسمة وغائرة وبارزة ورسومات جدارية وغيرها، إذ أظهرت تلك الاعمال الفنية اتخاذ العراقيين القدماء لعدد من الآلهة كن من ابرزها (اشور) الذي عبد وقدس ابان الامبراطورية الاشورية.

وقد اخذ شكل الرمز للاله (آشور) اشكالاً متباينة في كل عمل من الاعمال الفنية، وذلك مالم تتناوله الدراسات السابقة، مما حدى بنا الى تتبع تلك التغيرات والتطورات الشكلية في بنية رمز ذلك الاله. ومما له من اهمية في القاء الضوء على تطور العقائد الدينية والتفكير المجرد لديهم.

ثانياً: اهمية البحث والحاجة اليه

اذا كان الاله (آشور) يظهر بوصفه احد اهم الآلهة العراقية القديمة، فقد كان لظهوره وحضوره في معابد وقصور مابين النهرين الاهمية الواضحة لمكانته وادواره المتجسدة في صفاته كإله للقوة والسلطة والهيمنة. وكانت الاعمال الفنية المختلفة تنقل لنا صورة وشكل رمز ذلك الإله بوصفه رمزاً مهماً من الرموز التشكيلية.

مما حدا بنا الى تتبع التطورات الشكلية في بنية رمز الإله (آشور) فضلاً عما يقدمه البحث الحالي من خدمة للفنان التشكيلي والناقد وطلبة كليات الفنون الجميلة من اهمية في المعرفة والاستزادة بالثقافة

والتاريخ الفني الاصيل، كما يكتسب البحث اهميته من خلال الحاجة اليه من قبل ذوي التخصص في الاثـار والبحوث والدراسات التاريخية للفنون في تتبع مثل هذه التطورات الشكلية في بنية الرموز، وكيفية استلهامها من قبلهم.

3- هدف البحث

يهدف البحث الى تعرف التحولات الحاصلة في بنية رمز الاله اشور تصويرياً في الفن الاشوري.

4- حدود البحث

يقتصر البحث الحالي على دراسة الاله (آشور) كرمز من الرموز العراقية القديمة ضمن الحضـارة والامبراطورية الاشورية (2000-612) ق.م.

5- تحديد مصطلحات البحث

1- البنية

أ- في اللغة

-البنية (External) : الهيكل (structure): الاطار المرتكز على خطة في نص ما، والذي يحدد طريقة ارتباط العناصر ببعضها، ارتباطاً منتظماً وكذلك ارتباطها بالنص الادبي ككـل اكبـر مـن مجمـوع العناصر[1] . أي انها (الهيكل) كما تصوره العرب على انه التركيب والصيانة[2] .

-بنى-الكلمة: الزمها البناء، اعطاها بنيتها أي صـيغتها، البنْيَّـة (ف ج): خطـة تنـتظم بهـا اجـزاء التصويرة[3] .

ب- في الاصطلاح

-البنية: تطور مفهوم هذه المفردة ليشمل "وضع الاجزاء في مبنى ما" من وجهة نظر فنية معمارية. وبما يؤدي اليه من قيم جمالية تشكيلية[4] .

2- الرمز

التعريف الاجرائي للرمز: هو ذلك الشكل الذي يصور بنية رمز الاله اشور فـي الاعمـال الفنيـة التشكيلية عيانياً.

وقد اعتمدنا هذا التعريف بناءاً على ماورد في بنية شكل الرمز العائدة للاله اشور تم الاتفاق عليهـا من قبل علماء الاثار والمختصين في مجال دراسة علم اللغة وترجمة بعض النصوص الرافدينية.

3- اشور

1- آشور: مدينة تقع على الضفة الغربية من نهر دجلة، وتبعد بحوالي (40) ميل جنوب الزاب الاعلى، كانت العاصمة القديمة لبلاد آشور[5] .

---

[1] ابراهيم فتحي: معجم المصطلحات الادبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، ب.ت، 2400.

[1] صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الادبي، ط3، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987، ص139.

[3] المنجد في اللغة والاعلام، ط3، دار الشرق، بيروت، 1986، ص50.

[4] احمد فهد سعيد: البنائية فكر ومنهج نقدي، ط1، دار المريخ للطباعة والنشر، الرياض، 1987، ص5.

[5] ليو اوينهايم: بلاد مابين النهرين، ت: سعدي فيض عبد الرزاق، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1981، ص479.

2- آشور: إله مدينة آشور، عبد في الشمال، وهو الذي اشير اليه في قصة الخليقة بالتعبير السومري (أنشار). وعند الاشوريون هو ابو الالهة خالق الكون والبشر ومقرر مصير الكون، واخذ دور الإله البابلي (مردوخ) في قصة الخليقة الاشورية التي وردت مسبقاً بقصة الخليقة البابلية[1] .

الفصل الثاني

الاطار النظري

المبحث الاول

مفهوم الرمز

لجأ الانسان الى الرمز بوصفه وسيلة من وسائل التعبير الدلالية والغنية عن فكره ومشاعره، حيث اخذ ذلك التعبير عدة مظاهر كالرسم والشعر والرقص وغيرها.

فالرمز كيان متكامل له القدرة على الاقناع والتأثير فهو يحضر الحالات والمواقف التي ينبغي ايصالها بصيغ جديدة الطرح فضلاً عن انه شيء غير المعلن عنه مباشرة للتعبير عن فكرة تقف خلفه وتعبر عن شيء غير محدد لتمثيل مفهوم من المفاهيم المجردة "فالرموز ترمي الى تجسيم افكار مجددة وتحريكها في احداث"[2] .

وتعود بدايات الرمز كوسيلة للتعبير ونقل الافكار الى بدايات الانسان الذي رمز لكل مظهر من مظاهر الطبيعة برمز خاص جعله مؤلهاً فيما بعد. وبلغ الانسان في تفسيره للظواهر الطبيعية-خلق الكون والانسان وغيرها- محاولات متضاربة لذا (فان البشرية لجأت الى الرمز كاداة للتعبير عن صراعها المستديم مع ذاتها وعن علاقتها ببقية الموجودات، وللرمز بعدان هما الفكر والحس وهو بذلك اقرب شيء الى الواقع الانساني، حيث البعدان الروحي والمادي والفكري والحسي متلازمان في وحدة لاتنفصم هي وحدة الوجود، وحدة الانسان"[3] .

و "كان للاحداث والظروف التي عاشها من جهة ولتطوره الحضاري العام من جهة اخرى اثرها في خلق تلك الوسائل وتنوعها"[4] ، أي ان الانسان استطاع خلق صورة من التعبير تفي بحاجته الى توطيد كيانه الروحي واستقراره الاجتماعي و "بواسطة غريزة صنع الرمز المركبة فيه استطاع ان يجسم معرفته بالعالمين الخارجي والداخلي وخبرته فيها تجسيماً حسياً وان يضفي عليها الحياة ويصنع لها حدوداً ويكسبها المعنى او لنقل في بساطة- انه حول القوة الى شكل"[5].

اما الهدف من ممارسة الفن والادب وخلق وابتكار الرموز هو تعظيم الالهة من جهة، وبيان قوة الملك او الاله نفسه او القوة الغيبية من جهة اخرى. وقد استحوذت تلك الرموز العبادة وعوضت عن شكل الاله التقليدي لو انها كانت مصاحبة له في ظروف ومناسبات معينة[6] .

---

[1] الاحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988، ص33-34.

[2] مندور، محمد، الادب ومذاهبه، ترجمة دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ب.ت، ص33.

[2] حبي، يوسف، الانسان في ادب وادي الرافدين، الموسوعة الصغيرة (83)، منشورات دار الجاحظ، بغداد، 1980، ص87-88.

[4] عبد الكريم عبد الله: فنون الانسان القديم، اساليبها ودوافعها، مطبعة المعارف، بغداد، 1973، ص9.

[5] صبري مسلم حمادي: اثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص24.

[6] اوبنهايم، ليو: بلاد مابين النهرين، ت: سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1981، ص247.

فاستخدام الرمز اذن جاء للتعبير عن قوى متحكمة في تفكير الانسان وحياته، لم يعبر عنها مباشـــرة، فجاءت هذه الرموز محملة بافكار عدة تستعير مفرداتها من اشياء مختلفة.

وعالم الانسان عالم مليء بالرموز التي يحيا فيها فهناك رموز دينية واخـــرى اجتماعيـــة وسياســـية واسطورية وغيرها من الرموز.

ووفق مفهوم كهذا يكون الرمز –كلام كان او كتابة، صورة او حركة– تجسيد للواقع (شخصاً كان او فكرة) ويتأتى ذلك من سببين رئيسيين الاول: طبيعة الانسان التي لاتستوعب الوجود الا من خلال المحسوس، والثاني عدم المقدرة على سبر اغوار كل الابعاد الكونية والانسانية. الامر الذي يحدو بالمرء في اشد فتـــرات الرقي الحضاري، الى استخدام الرمز كوسيلة للتعبير عن الفكر والمشاعر، وما الشعر والرســـم والموســـيقى والرقص سوى وسائل لذلك التعبير.

المبحث الثاني

الالهة ودورها في فكر وعقائد العراقيين القدماء

ارتبط الفكر الانساني عبر مر العصور التاريخية بعقائد مختلفة ابتداءً من الاقـــوام البدائيـــة وحتـــى حضارات الامم التي امتازت بالرقي والتقدم، وكان الدين يلعب دوراً حاسماً في التأكيد على دفع الناس الـــى الايمان بوجود قوة خارقة ذات قدرة ازلية.

فالانسان البدائي بتأملاته وفكره الفلسفي حاول ان يضع تفسيرات للظواهر الطبيعية وقد وضع حلولاً جزئية لمشكلة الوجود، وجوده هو والوجود المحيط به، متخذاً لنفسه ولما يتصوره عـــدة اســـباب ومســـببات مرجعيتها عائدة الى نموذج خاص ومقولب هو صورة (الاله) او بامكاننا القول انها عدة الهة كانت السبب في خلق الكون.

اذ ان معظم الممارسات الطقوسية، والديانة والشعائر، انما تمارس من اجل تأكيد النظام فـــي الحيـــاة الاجتماعية وتتمثل هذه النظرة الاجتماعية في معتقداتهم حول طبيعة الانسان وطبيعـــة النظـــام او الـــدين او مايسمى بالمعتقد الديني[1] .

كما ان اشكال الممارسات الطقوسية تعطي تصور ملموس للرؤية التأملية لدى الانسان البـــدائي فـــي ادراك الوجود وتخيل اشكال القوى التي تحيط به معبر عنها بصورة آلهة تحكم الوجـــود باســـره. فالانســـان البدائي يرى وجوده حقيقة واقعية ليست موضع شك او مجال تساؤل فلسفي.. كما ان عالم المجـــردات لـــيس منفصلاً عن عالم المحسوسات وما المعتقدات والديانات الا تجسيد لهذه المجردات كما انها تحقيق وجودي لهذه المجردات.

وان طبيعة فكر الانسان كانت تنبع من ".. اعتقاده وفكره وتأملاته الالوهية حالة في الطبيعـــة، وان الطبيعة مرتبطة بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً"[2] .

ولهذا ظهرت مجموعة افكار توضح كيفية نشوء الكون، واهم مافي تلك الافكار والمعتقدات هو وجود مجموعة من الالهة تنظم شؤون الحياة على الارض. وان بعض الآلهة هي مخلوقات تشبه البشر "ان ســـكان

---

[1] صفوت، كمال: الرمز والاسطورة والشعائر في المجتمعات البدائية، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الرابع، المجلد9،ص1879.

[2] فرانكفورت، وآخرون: ماقبل الفلسفة، ت: جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1980، ص263-264.

وادي الرافدين عندما لم يرو اياً من الآلهة فانهم اشتقوا صورتهم الاولى التي تصوروا بها تلك الالهة من المجتمع البشري"[1] ولكنها تتميز عن البشر بالخلود.

لذلك فقد تصور العراقيون القدماء الكون على هيئة مملكة تحكم فيها الالهة وتدبير شؤونها وتتدرج السلطة بين هذه الالهة وتتنوع فيما بينها وما على البشر سوى الطاعة.

وكان تعبير الانسان عن علاقته بالآلهة المتعددة بوساطة اشكال عدة من الشعائر والرموز التي تعد في مجملها لغة انسانية تفسر طبيعة علاقته بما يعتقد وتحده المواقف المتباينة التي دفعته الى هذا الاعتقاد من واجب او خوف او رغبة او امتلاك[2] . وكان سلوك الانسان وسعيه الى المطلق والى الالهة وايمانه بها ربط حياته برموزها كل ذلك شكل الاساس الديني للانسان منذ اقدم العصور.

واذا ما كانت فكرة الاله مستمدة من عقائد وافكار دينية فقد اختلفت الاراء في تحديد مفهوم وموضوعة الدين، فاذا ما "عرف الدين بانه عبادة القوى الخارقة الكامنة فيما وراء الطبيعة فلابد ان تلاحظ ان جميع البشر كانت لديهم معتقدات وشعائر دينية منذ بداية حياتهم. والاعتقاد بأن الدين ظاهرة عامة تعم البشر اجمعين هو اعتقاد سليم، والعقيدة الدينية قديمة وترجع في قدمها الى ظهور الانسان على سطح الارض"[3] .

وبامكاننا ان نجد الاسباب في ظهور فكرة الاله لدى الشعب العراقي القديم من خلال قراءتنا وتصوراتنا حول الحياة البدائية حيث "ان الحياة البدائية كانت محفوفة بالاخطار والكوارث وينـدر ان يكون موت الانسان في تلك الظروف موتاً طبيعياً. بل كان بسبب فتك الحيوانات الضارية بهم او اعتداء بني جنسهم عليهم او الاصابة بمرض ما، ولذلك فأن الانسان القديم يعتقد ان كائنات خارقة هي التي تسبب له الموت او المرض والجوع، وكل هذه تضافرت على نشوء العقيدة الدينية[4] . لهذا يمكن ان نستنتج من ان ظهور فكرة الاله مناسبة لكي ينسب اليها تلك الاقدار التي تصيب البشرية، مما حدى به الى الحاجة للعبادة والتضرع لإله ما مجسداً اياه بصورة او متمثلاً بواسطة مواد مختلفة نعدها اليوم اثاراً فنية خالدة من اثار ومعتقدات تلك العصور.

فضلاً عن هذا فقد امتاز الدين العراقي القديم بخصائص معينة فالى جانب تعدد الالهة وكثرة اسماء بعضها، فقد اعتقد العراقيون القدماء، بحياة الالهة المماثلة لحياة البشر لكي لايدركهم الهرم والموت ولهم القدرة على القيام باعمال اعجازية لايستطيع البشر اداؤها.

---

[1] كريم، صمويل، من الواح سومر، تر: طه باقر، مراجعة احمد فخري، مكتبة المثنى، مؤسسة الخفاجي، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، القاهرة، 1956، ص154.

[2] العوا، عادل، علم الاديان وبنية الفكر الاسلامي، ط2، سلسلة زدني علماً، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1989، ص20-21.

[3] Braidwood, R. The Near East and the Foundation for civilization, 1952, p.32.

[4] الدباغ، تقي، الفكر الديني القديم، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992، ص5.

ولما كان العراقيون القدماء قد عبدوا آلهة كثيرة تقرب (2500)[*] تتباين عن بعضها البعض في الاهمية واحياناً بالقدم لذا ارتأينا التعريج على بعض الآلهة تبعاً لاهميتها في حياة العراقيين القدماء ولما يهم موضوعة الدراسة الحالية.

ومما ورد في اساطير الخليقة السومرية ان المياه الازلية او الاولى هي التي خلقت نفسها وكانت المادة الاولى التي ولدت منها جميع الاشياء وهي تتألف من عنصرين مختلفين من الماء هما الماء العذب وهو العنصر المذكر والماء الحار وهو العنصر المؤنث[**] .

ومن بين اهم الالهة التي وردت في الاساطير هم الآلهة (آنو) وهو اله السماء ويأتي ترتيبه على رأس الآلهة السومرية، اما اله الهواء (انليل) فهو يأتي في المرتبة الثانية بعد والده (آنو) ولاهميته كثرت القابه فقد لقب –حسب النصوص المسمارية– بسيد جميع البلدان وبالجبل الكبير وبالاله الذي يقرر المصائر وهو الذي فصل السماء عن الارض وخلق الفأس اداة العمل[1] .

والاله (انكي) اله الارض والمياه والحياة وتأتي مرتبته بعد (انليل) واعتبروه رباً للحكمة ومنظماً للحياة على الارض سماه الاكديون (أيّا) كان (نان) اله القمر، عبده السومريون باسم (نانا) او (ننار) وعبده الجزيريون باسم (سين) وحظى بمكانة عالية بين الآلهة واشترك مع الاله (اوتو) بشؤون العدالة ورمز له بالهلال[2] .

اما الإله (اوتو) إله الشمس (شمش) وينظر في نقوش الاختام متميزاً بالاشعة ذات اللهب التي تنبعث من كتفيه، وبالمنشار المسنن الذي يحمله في يده ليقطع به احكامه العادلة لانه إله العدل والشرع وقد رمز له بقرص ذو اجنحة مفتوحة، واحياناً مزود بذيل طائر وهو غالباً مثل سائر الآلهة مصور بشكل انسان[3] .

و(اينانا) آلهة الحب والحرب، مثلها القدماء بالزهرة وسماها السومريون (اينانا) وعرفها الجزيريون بـ (عشتار) و (عشتروت) ورمز لها بالنجمة (ذات الثمان رؤوس) .

والى جانب الاهتمام بالآلهة الكبرى عبد العراقيون القدماء عدد من الالهة الصغرى التي انحدرت من آلهة الجيل الاول ومنها (ننكرسو) وتخصص بالحرب والصيد واعتبر حامياً لمدينة لجش ورمزه الطير برأس الاسد[4].

اما الإله آشور الذي رمز له برموز كثيرة ومتنوعة، فهو أيضا احد أهم آلهة العراقيون القدماء وخاصة لدى حضارة بلاد اشور، ومهذا ما سنتناوله في المبحث الثالث من هذه الدراسة.

---

[*] للمزيد راجع: الاحمد، سامي سعيد، المصدر السابق، ص5.

[**] راجع: هـ، فرانكفورت، واخرون: ماقبل الفلسفة، ص159-161.

(1) ستيفاني، م دالي، اساطير من بلاد مابين النهرين، ط1، تر: نجو نصر، بيان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت: 1997، ص371-382. وكذلك الدباغ، تقي، المصدر السابق، ص16-17.

(2) –الدباغ ، تقي : المصدر السابق ، ص19 .

(3)–لابات ، رينيه : المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين مختارات من النصوص البابلية ، تر : البيرا بونا وليد الجادر : وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، 1988 ، ص321 .

4–ينظر : الدباغ ، تقي : مصدر سابق ، ص22-24 وكذلك ستيفاني ، م دالي ، مصدر سابق ، ص385 .

المبحث الثالث

بنية رمز الإله آشور في الفن العراقي القديم

يعد الفن لغة معبرة عن مظهر كل عصر وما يرافقه من تبدل في الاعراف والذائقة والنظم والبنى الفكرية، فالتكوينات الفنية المختلفة منذ بدء الانسان بالتفكير والتأمل والتساؤل الفلسفي قد حملت افكاره وغدت سجلاً لها .

فالفن طريق للتعبير توصل اليها الانسان محاولاً قول شيء ما حول ما يدور حوله اضافة الى انه طريقه للمعرفة[1] .

والفن مضمون، وهو صورة يعني ان المضمون قد اتخذ صورة، وان الصورة امتلأت بالمضمون[2]. وكانت بنية الرمز في الحضارة العراقية القديمة تتضح في معظم الأعمال والنتاجات الفنية المختلفة، التي تعكس طبيعة المجتمع والتفكير السائد في ذلك الوقت، كبنى رمزية عوضت عن الاشكال الواقعية.

والرموز تكون في الغالب اشكال تميل الى التجريد والاختزال وذات معنى يبتدعها الانسان للتعبير عن افكاره ومعتقداته ومشاعره وقد لا تكون هذه الرموز تامة التجريد وانما تحمل او تستعير مفردات طبيعية وواقعية لكنها لا تشير الى ما تعنيه بطريقة مباشرة.

فاضحى الرمز اداة للتفاهم والتعبير فهو كيان متكامل له القدرة على الاقناع والتأثير اذ انه يحضر الحالات والمواقف التي ينبغي إيصالها بصيغ جديدة الطرح فضلاً عن انه شيء غير معلن عنه مباشرة للتعبير عن فكرة تقف خلفه "فالرموز ترمي الى تجسيم افكار مجردة وتحريكها في احداث"[3] .

وعملية تأويل بنى الرمز تختلف بين الناس بحسب ما توحيه من مشاعر انسانية وتأثيره في ان يجعل من شيء رمزاً دالاً على شيء آخر: والفن الاشوري عكس طبيعة حياة الاشوريين وحبهم للحرب والقتال وتمجيد الملوك وانتصاراتهم، ونتيجة لفتوحاتهم الكثيرة المتواصلة في الامصار المختلفة ومن عقيدتهم الدينية الراسخة لسيطرة الإله على مظاهر الحياة لديهم فقد سعى الآشوريين الى ضمان تعاون الالهة معهم، من خلال ماظهر في الاعمال الفنية المختلفة حيث الملوك الآشوريون يمارسون طقوس العبادة امام الآلهة المعبودة ، فكلما زاد الملك في طاعته وتذلله اما إلهه كان رضا الإله عن وبالتالي فان فتوحاته وانتصاراته ستكلل بالاحتفاء.

والإله (اشور) عند الآشوريين هو ابن الإلهة وخالق الكون والبشر ومقرر المصير، واخذ دور مردوخ في قصة الخليقة البابلية وقد صور في الاعمال الفنية مرتدياً خوذة مقرنة، وفي يده الصولجان والحلقة وباليد الاخرى عصا الرماية، ويقف على حيوانين خرافيين واحياناً حيوان برأس اسد وجناحين، ورمز الدائرة المجنحة او كرة يظهر منها اله بقبعة ذات قرون او قرص الشمس المجنحة والإله في جزءها الاعلى وهو يضرب بالسهم[4] .

وتتنوع بنية رمز الإله اشور في الأعمال الفنية المختلفة – الاختام الاسطوانية – النحت البارز والرسوم الجدارية – ففي (شكل 1) وهو مشهد يظهر الملك يتعبد مع جني امام شجرة مقدسة يظهر فوقه رمز

---

[1] ريد هربوت ، الفن والمجتمع ، دار القلم ، بيروت ، ب.ت،ص16 .

[2] –ابراهيم ، زكريا ، فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ي.ت ، ص50 .

[3] –مندور ، محمد ، مصدر سابق ، ص33 .

[4] –الاحمد ، سامي سعيد : مصدر سابق ، ص33–34 .

اشور، وهو قرص مجنح بداخله شكل بشري ، الجزء العلوي من الجسم – فلو تأملنا (شكل2) وهو مسلة توضح الملك اشور ناصر بال وفوقه مجموعة رموز بينها رمز اشور الذي بدا مختلفاً عن الصيغة السابقة اذ يبدو في داخل القرص المجنح شكل زهرة .

اما (الشكل 2) والذي يمثل منحوتة ناتئة تخلد انتصار الملك (تكلات بلصر الاول) والتي عثر عليها في نينوى تبين الاسرى وهو يعلنون الولاء للملك ولما كان هذا الملك مديناً بنجاحه الى مساعدة الاله، فقد اشير الى الاله بقرص شمس مجنحه تبرز منها يدان ترتفع الاولى بالبركة بينما تسحب الثانية قوساً هو رمز النصر[1] .

وفي (شكل5) يتجلى واضحاً قرص مجنح مضافاً اليه بعض تجريدات الفروع النباتية مجسد في اعلى اللون وفوق الفتاة الجالسة وبيدها زهرة اللوتس. كاحد الرموز العائدة للاله اشور .

اما طبعات الاختام الاسطوانية التي غالباً ما انت تمثل مشاهد اسطوانية ففي احد هذه الاختام (شكل6) يصور موضوعة معركة اسطورية ويضم مجموعة رموز من بينها القرص المجنح الذي ادخلت عليه بعض التحويلات. وفي (شكل 7) وهو طبعة ختم ايضاً، يصور تكريم الشجرة المقدسة ويعلوها القرص المجنح.

ونخلص مما تقدم اعلاه، ان الاله اشور، قد ورد وتجسد في الاعمال الفنية المختلفة، باشكال وبنى رمزية مختلفة ايضاً، ضمن فكر ومعتقد الاشوريين في صياغة وايجاد وخلق رمز ينسب عن الشكل الواقعي، عن طريقة بنية التركيب من مجموع اشكال واقعية اخرى ومن الظواهر التي تحيط به، ولكن بمعالجة مختلفة تضمنت صيغ مختلفة، فتحولت تلك الاشكال الى بنية رمزية دلالية ومضامين فكرية جمعت بين ما تمثله تلك الدلالات من معاني كانت متعارف عليها عند العراقيين القدماء، على ان الملوك الذي حكموا بلاد اشور قد جسدوا ايضاً باشكال واقعية كآلهة يقدم اليهم فروض الطاعة والعبادة وتسليمهم زمام امور البلاد عن طريق صورة او رمز (الحلقة والصولجان) وهي دلالة رمزية تعني القوة والسلطة والسيطرة. كما في شكل (8) حيث ان اغلب ملوك بلاد اشور اقترنت مسمياتهم بإله اشور كإسم (اشوربانيبال) و (آشور ناصر بال) وغيرهم، ويعني ذلك ان هؤلاء الملوك هم ابناء او من نسل الإله آشور والهة اخرى ضمن مجمع الالهة القديمة التي يعبدونها .

الفصل الثالث

1- مجتمع البحث

بعد الاطلاع والقيام بمسح القطع الاثارية العائدة للحضارة العراقية القديمة في مختلف المصادر التاريخية المصورة والتي ظهر فيها رمز الاله (آشور)، من الواح نذرية ونصب تذكارية ومسلات واختام اسطوانية تم الاستشهاد من خلالها في الاطار النظري على شكل رمز الاله (آشور) في تلك الاثار الفنية التي خلدت عقائد وفكر الامبراطورية الاشورية، ولسعة تلك الأعمال النحتية في تلك المصادر المصورة ولتكرار تلك الأشكال العائدة لذلك الإله، تم استبعاد كل عمل فني ظهر فيه شكل رمز (آشور) بصورة مكررة ومتماثلة، وتناولنا كل عمل فني نحتي او رسم جداري قد ظهر فيه شكل الرمز مختلفاً من عمل الى آخر لما يخدم موضوعة البحث الحالي.

---

[1] –ياور ، اندريه : مصدر سابق ، ص51 .

2- عينة البحث

وبعد الاطلاع على المصادر العلمية بالبحث والدراسة الاستطلاعية قمنا باعداد (جدول رقم 1) حيث يمثل عينة البحث الحالي كعينة أساسية لبنية رمز الإله آشور والمأخوذ من المصـــورات والمجسّـــد ضـــمن التكوين العام والشامل في بنية الأعمال الفنية .

3- أداة البحث

من خلال مباحث الإطار النظري وما تم فيه من تسليط الضوء على بنية شكل رمز الاله اشور فـــي الفن، قمنا بتصميم اداة التحليل (جدول رقم 2) ، ويمثل استمارة تحليل العينات، فشملت (محاور رئيســـية) و (مجالاتها الثانوية) وتم الاعتماد عليها في تحليل العينات .

4- تحليل الاعمال الفنية (عينة البحث)

1- العينة (1) من الجدول (1)

ظهر شكل رمز الإله آشور مجسداً بصورة مركبة، ومرسوماً بطريقة زخرفية على سطح جـــداري وممثلاً برمزية جمعت بين الشكل الانساني والحيواني والهندسي معاً ، فأضحى الشكل البشري نصفه الاعلى أي الرأس والصدر واليدين (آدمي) اما النصف الاسفل قد تحوّر الى ذيل طير وهو النسر وأجنحة برزت من جانبي الكتفين، وهو يمسك بسلاح الصيد (القوس والسهام)، فكانت المضامين رمزية ودينية، مثلت معتقـــدات الآشوريين حول مواسم الصيد وكذلك مثلت دلالة سياسية حول طبيعة ذلك العمل وهو الصيد، الذي قد عنى به الفنان الاشوري القوى والحرب. كما مثلت بنية الرمز ايضاً دلالة ومضمون اسطوري من خلال بنية التركيب الاسطورية التي جمعت محاور الا وهي (قرص الشمس المزخرف، والانسان بهيئة النسر، والســـلاح الـــذي يمسك به) كونت بمجموعها شكلاً زخرفياً جمالياً ورمزياً .

2- العينة (2) من الجدول (1)

وتكرر ظهور رمز الاله اشور في اغلب الاعمال النحتية الاشورية ومنها في مجال النحت البـــارز، نلاحظ شكل الرمز هنا بصورة زخرفية هندسية، جمعت بين الاجنحة الواقعية للنسر يتوسطها القرص الدائري المزخرف هندسياً دالاً على الشمس، وتمحور الذيل بصورة زخرفية مجردة، قد مثلت بنيـــة الرمـــز دلالـــة ومضامين رمزية جمعت بين المضمون السياسي كشعار للامبراطورية، ومضمون ديني كمعتقد وعبادة للاله الذي يمثلهم، وجمالي اسطوري محرِّف .

3- العينة (3) من الجدول (1)

وظهرت صورة رمز الإله آشور ايضاً ضمن تقنية النحت البارز، ممثلاً بشكل زخـــرف هندســـي، ومثلت بنية الشكل الرمزي تجسيد محرف عن الشكل الواقعي للاجنحة والذيل وقـــرص الشـــمس، بصـــورة هندسية تجريديه، حيث تحولت الاجنحة الى اشرطة متموجة على كلا جانبي القرص الدائري، الـــي توســـطه شكل زخرفي لرأس الفأس المتكرر محيطاً بدائرة صغيرة تنم عن هيئة جمالية جمعت بين شكل الزهرة فـــي اوراقها ورأس الفأس الحاد، وكما ذكر لنا (مورتكارت) كأنه شبيه بالصليب المعقوف. ومثلت بنية الرمز دلالة ومضامين سياسية واسطورية ودينية معاً .

4- الفقرة (4) من الجدول (1)

وجسد شكل رمز الاله اشور ايضاً الاختام الاسطوانية فكشفت لنا طبعة الختم الاسطواني عن شـــكل الرمز بطريقة النحت البارز والغائر، وهو هنا ذو بنية محرفة عن الشكل المركب ايضاً والذي مع بين قرص

الشمس الذي يخرج من جانبيه اجنحة وذيل مزخرف هندسي، كما مثلت بنية الرمز دلالات ومضامين دينية واسطورية .

5- العينة (5) من الجدول (1)

وظهر شكل رمز اشور مجسداً على سطح احد الاختام الاسطوانية ذو بنية مركبة خيالية جمعت بين السرد والقص الاسطوري للإله ودوره وبين طريقة العبادة التي مثلت الاله آشور برأس فقط ويد تخرج من جسد الطير واجنحة ممدودة يخرج من اعلى كل جناح رأس احد المتعبدين كي يباركهم الاله اشور بهذه الحركة لليد وكأنها تحية وهو يرتدي التاج المقرن رمز الالوهية والسلطة والقوة او مثلت بنية الرمز، هيئة مركبة جمعت بين الواقعية التي مثلتها الرؤوس الثلاث والتجريدية الزخرفية التي مثلها كلا الشكلين الذين يعودان للقرص الدائري والاجنحة والذيل للنسر، بدلالات ومضامين رمزية جمعت بين الطابع الاسطوري الديني والمضمون السياسي في تقديم الولاء والطاعة والعبادة للاله اشور .

6- العينة (6)من الجدول (1)

وظهر شكل رمز الاله اشور على لوح مزجج، مرسوماً بصورة محرفة عن الواقع، ذو بنية هندسية تجريدية حورّت فيها الاجنحة بهيئة مستطيلة الشكل افقية ومصفوفة على جانبي قرص الشمس الذي تدلى من الاسفل منه اشرطة عمودية مستطيلة تمثل صورة الذيل، حيث مثل هذا العمل الفني الهندسية التجريدية لبنية شكل الرمز بصورة التحوير والتجريد والتحريف للشكل الواقعي، فأحال الفنان الاشوري كلا الشكلين (قرص الشمس والاجنحه والذيل) للتنظيم والرسم الهندسي. كما مثل الرمز دلالات ومضامين جمعت بين الشعار السياسي والرمزي والتجريد الاسطوري والمعتقد الديني التعبدي .

الفصل الرابع

نتائج البحث

استناداً لما تقدم ومن خلال تتبع البنية الرمزية لشكل الاله اشور في الاعمال الفنية العائدة للحضارة الاشورية، امكن التواصل الى النتائج الآتية:

1- جمعت البنية الرمزية لشكل الاله اشور بين الاساليب الاتية وهي: (الاسلوب الواقعي والاسلوب الهندسي التجريدي والاسلوب الزخرفي) .

2- لقد ظهرت بنية رمز الاله اشور وهي تجمع بين الاساليب اعلاه في وحده تركيبية ، انضون تحت مسمى الاشكال المركبة، فقد عالج الفنان الاشوري وحدة التركيب في رمز الاله اشور من خلال الرموز (قرص الشمس، اجنحة وذيل النسر، النصف العلوي من جسد الانسان) .

3- كانت الرموز المتمثلة بقرص الشمس والنسر، من اقوى الرموز التي دخلت ضمن عقائد وديانة الحضارة الاشورية، فقد كانت الشمس من اقوى واكبر الكواكب واسطعها نوراً وتألقاً وفي العراق القديم، كان يدعى باسم (شمش) إله شمس والحق والعدالة والقوة، بينما كان النسر ايضاً من الآلهة التي ادهشت الانسان بسطوته وهمينته في السماء وعلوها عن باقي الطيور وقابليته في الصيد والطيران، مما حدا الفنان الى ان يجمع بين اقوى عنصرين شاهدهما في السماء وتألقاً سوية بنور الشمس الوهاج، فجعل من ذلك الازدواج فيما بين قرص الشمس واجنحة النسر بمثابة ابنية الرمزية لشكل الاله اشور وشعراً للامبراطورية الاشورية .

4- لم يخلو عمل من الاعمال الفنية العائدة للحضارة الاشورية من الشكل الرمزي لاله اشور، فقد هيمن على اغلب الاسطح النحتية وفي الجهة العليا من كل عمل (مسلات، اختام، الواح) وغيرهما .

5- ظهرت البنية الرمزية لشكل الاله اشور بهيئة مركبة جمعت بين (الشكل البشري والشكل الحيواني في داخل قرص الشمس المزخرف) في كلا العينات (1 ،5) .

6- ظهرت البنية الرمزية لشكل الاله اشور بهيئة مركبة جمعت بين (الشكل الواقعي للاجنحة وقرص الشمس وذيل مزخرف) في العينة (2) .

7- ظهرت البنية الرمزية لشكل الاله اشور بهيئة مركبة جمعت بين الوحدات الهندسية المجردة الزخرفية والنباتية في العينة (3 ،4) .

8- ظهرت بنية شكل الاله اشور بصورة مركبة تجريدية اشبه بالاسلوب التكعيبي، جمعت بين (الدائرة والمستطيلات) في العينة (6) .

9- جمع شعار الاله اشور بين عدة دلالات ومضامين كانت (سياسية واسطورية ودينية) معاً. من خلال ما يمثله ذلك التركيب العائد لاقوى الكائنات (اجنحة النسر وقرص الشمس والرأس البشري للانسان).

المصادر

1- ابراهيم فتحي: معجم المصطلحات الادبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، ب.ت.

2- ابراهيم، زكريا، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة، القاهرة، ي.ت.

3- احمد فهد سعيد: البنائية فكر ومنهج نقدي، ط1، دار المريخ للطباعة والنشر، الرياض، 1987.

4- الاحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988.

5- اوبنهايم، ليو: بلاد مابين النهرين، ت: سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1981.

6- حبي، يوسف، الانسان في ادب وادي الرافدين، الموسوعة الصغيرة (83)، منشورات دار الجاحظ

7- الدباغ، تقي، الفكر الديني القديم، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992.

8- ريد هربوت ، الفن والمجتمع ، دار القلم ، بيروت ، ب.ت.

9- ستيفاني، م دالي، اساطير من بلاد مابين النهرين، ط1، تر: نجو نصر، بيان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت: 1997.

10- صبري مسلم حمادي: اثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.

11- صفوت، كمال: الرمز والاسطورة والشعائر في المجتمعات البدائية، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الرابع، المجلد9.

12- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الادبي، ط3، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987.

13- عبد الكريم عبد الله: فنون الانسان القديم، اساليبها ودوافعها، مطبعة المعارف، بغداد، 1973.

14- العوا، عادل، علم الاديان وبنية الفكر الاسلامي، ط2، سلسلة زدني علماً، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1989.

15- فرانكفورت، وآخرون: ماقبل الفلسفة، ت: جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1980.

16- كريم، صمويل، من الواح سومر، تر: طه باقر، مراجعة احمد فخري، مكتبة المثنى، مؤسسة الخفاجي، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، القاهرة، 1956.

17- لابات ، رينيه : المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين مختارات من النصوص البابلية ، تر : البيرا بونا وليد الجادر : وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، 1988.

18- ليو اوينهايم: بلاد مابين النهرين، ت: سعدي فيض عبد الرزاق، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1981.

19- المنجد في اللغة والاعلام، ط3، دار الشرق، بيروت، 1986.

20- مندور، محمد، الادب ومذاهبه، ترجمة دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ب.ت.

21- Braidwood, R. The Near East and the Foundation for civilization, 1952, p.32.

جدول رقم (١)

عينة البحث

ت	شكل الرمز	تقنية التنفيذ وتاريخه	مصدر الرموز
.١		رسم جداري يعود الى القرن ٩ ق.م	م ص٣٨٦
.٢	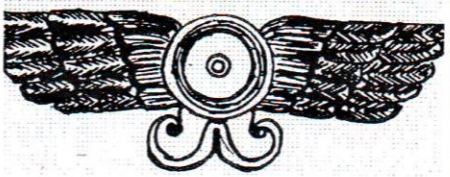	نحت بارز يعود الى القرن ٨ ق.م	م ص١٧١
.٣	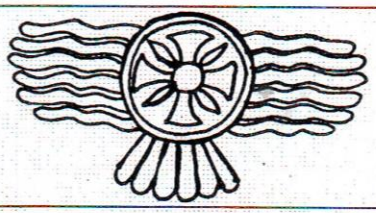	نحت بارز يعود الى ٨٧٩ ق.م	م ص٥٠
.٤		ختم اسطواني النصف الاول من الالف الاول ق.م	م ص١٧٤
.٥		ختم اسطواني	م ص٢٨٣
.٦	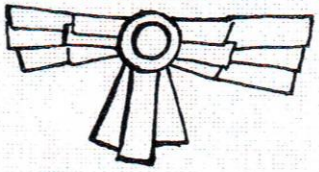	رسم على لوحة اجر مزجج يعود الى الالف الاول ق.م	م ص٨٧

جدول رقم (٢)

استمارة تحليل العينات

ت	المحاور الرئيسية	مجالاتها الثانوية		
١-	شكل الرمز	واقعي		
		مركب		
٢-	تقنية التنفيذ	نحت بارز وغائر على المسلات والالواح		
		رسم جداري		
٣-	بنية الشكل الرمزي	واقعي	انساني	
			حيواني	
		محرف	انساني	
			حيواني	
		هندسي	نباتي	
			تجريدي	
٤-	الـــــدلالات الرمزيـــــة والمضامين	سياسية		
		اسطورية		
		دينية		

شكل (١)
بلاد اشور

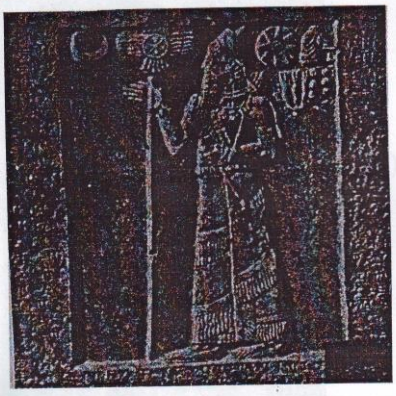

شكل (٢)
بلاد اشور

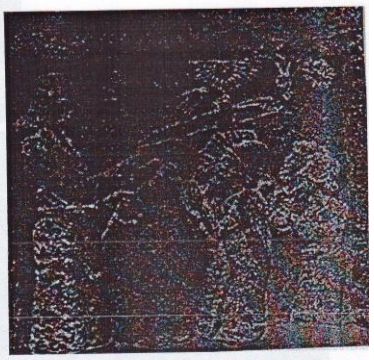

شكل (٣)
بلاد اشور

شكل (٥)

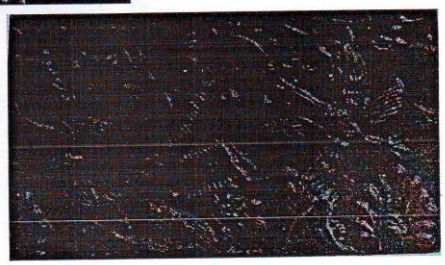

شكل (٦)

شكل (٧)

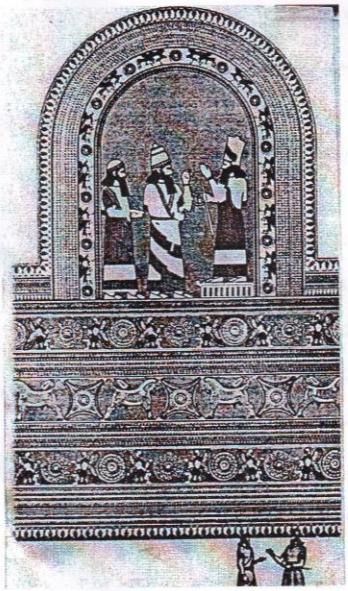

شكل (٨)